



روح الإسلام والعربية جزءٌ من هذه الروح

بقلم الاستاذ محمد محمود الراميسي

(الأردن)

ما شعروا الا ورسول جاءهم بكتاب من عند الله ينطق بلسانهم ولغتهم ، يتحداهم ان كانوا في شك منه ان يأتوا بسورة من مثله بقوله سبحانه وتعالى : «وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبادنا فاتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم مصادقين ». ثم قال جل جلاله : «فإن لم تفعلا ، ولن تفعلوا » ظهر لنا بأن القرآن العظيم هو باعلى انواع اللغة العربية ، ولم يستطع الانس والجن عن ان يأتوا بسورة من مثله ، وهو دين الاسلام الذي امرت المخلوقات باتباعه ، وفهم ما فيه .

واوجب عليها النظر والتدبر في آياته ومواعظه وحكمه بقوله : «كتاب انزلناه اليك مبارك ليديربوا آياته وليتذكروا اولوا الالباب ». ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلم يتذكرون ، قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلمهم يتذكون » .

فيجب ان ينهمه العالمون ، ويعقله الخلق اجمعون ولا يكون ذلك الا بفهم لغة العرب والوقوف عليها ، فهو لهذا جسم ، وهي لهذا روح ، ولا يمكن ان يكون هناك اسلام خال من اللغة العربية فهذا مرتبط بهذا ولازم له

الاسلام دين القرآن : والقرآن هو كلام الله المنزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام : وهو باللغة العربية دون غيرها من اللغات ، لقوله سبحانه وتعالى : «قرآناً عربياً غير ذي عوج » وقوله «وكذلك أنزلناه قرآننا عربياً » وقوله انا انزلناه قرآننا عربياً لعلكم تعقلون » وقوله «وانه لتزيل رب العالمين ، نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ». فاذا وضح لدينا ان القرآن الذي هو اعظم كتاب نزل من السماء باللسان العربي ، على اعظم نبي ادمي : وهو عربي : ثبت ثبوتاً جلياً ان خير الكتب القرآن ، وخير الانبياء محمد ، وخير اللغات : العربية .

وقد نزل القرآن ابان مباريات العرب مصالحها بعضهم بعضاً : ومناظراتهم وتقايرهم اي القبائل افسح ؟ وابها ابين ؟ وابها اوجز ؟ وابها بكلماتها القليلة اجمع ؟ حتى علت لغتهم ، وصفت عن كل كدر ، وخلت من كل ضعف ، فبحوارهم مع بعضهم ، وتناسهم في تخير الانظاظ ، وانتقامهم لاسهلها واخفها واحلاها ، تد تخلت عن الانفاظ المرذولة ، والكلمات المعددة ، وهكذا في ارتقائهم وعليائهم بها .

للعلم وقراءة القرآن وسائر العلوم التي لها المام بلغة العرب والقرآن ولا مدرسة الا وجدتها كذلك ، حتى ولا يبتا الا وغيه من يحفظ دينه بحفظ القرآن . فلغة كان يلهم بها اكثر سكان المعمورة لاجل القرآن الذي نزل بها . لاشك ان قوة القرآن قوتها ، وضعفه ضعفها . وهذا ليس في الزمن القديم فقط بل هو متند الى يومنا هذا .

فما هو مدى تأثير الفكر الاسلامي من طريق لغة القرآن في اللهجات ؟

ان القرآن الكريم الذي نقرؤه في سائر بلاد الاسلام ، هو مصحف عثمان الامام المكتوب بلسان قريش ولهجتها من دون سائر العرب لأن العرب أجمعوا حين جمع القرآن أن يكتب ويحفظ بلسان قريش . لانه عليهم نزل وفي دارهم استقر وبلهجتهم ثبت ، وبقي الى يومنا هذا في سائر بلاد الاسلام كما كان واستقر ، ولذلك تجد جميع لهجات المتعلمين في سائر بلاد الاسلام واحدة ولو أقبلت الناس على العلم لما رأيت لهجة للعرب ولا في بلاد العرب الا لهجة قريش الفصحي . لأن القرآن عرية بها وكل العلوم تتبع للقرآن . ولا عبرة بلهجات العامة ، فتكل لا معول عليها .

اما اهل العلم والمعرفة فلا يؤثر فيهم اللهجة العامة ويترفعون عن ان يضعوا في كتبهم شيئا منها لانحرافها وعدم ثباتها . ثم ان اللغة العربية ليست في بلد من بلاد العرب اقوى منها في بلد آخر . بل البلاء واحد ، والداء واحد .

ولقد تداعت امم الافرنج من كل ناحية من نواحي حياتنا الدينية او الدنيوية فأفسدت او أضعفـت كل شيء تالدا او طرينا ومن جملة ما أضعفـت ديننا ولفتنا . فوضعت بدل اللغة الموروثة العربية لغة الاجانب ، وببدل الدين واليقين ، الشك والشكـك .

وانه مهما سار الاسلام فزمانه اللغة ، او القرآن فهو ابو اللغة وأمها ، فلا ارى رأيا او وجها يفصل القرآن الذي هو الاسلام عن اللغة لقوله تعالى « عرآنا عربا غير ذي عوج » والمراد بالموح هنا لغة غير العرب ، حتى اذا ترجم القرآن الى اي لغة ، فقد ذهب جماله وبهاؤه ورواؤه ، فضلا عن اعجازه وعظمته ، وعلوه ورفعته ، وانه غوق متناول الخلق جميعا ، من ان يأتوا ولو بسورة من مثله .

والامر بين الاسلام الذي هو القرآن وبين اللغة العربية اعظم وأعلى بل واشد واقوى من ان تكون له علاقة سببية ، فهما كالجسم والروح لا يفترقان ابدا ولا غنى احد منهما عن الآخر وقد قالت مشيئة المولى الكبير ان يكون الامر كذلك .

وما تلك الخبرة غالalic عدم ذكرها ، لأن غفل الاسلام على اللغة لا غفل اللغة على الاسلام .

هذا وكلما قوي الاسلام وانتشر ، انتشرت لغة الاسلام معه وقويتها ، فانتظر الى الواقع التي دخلها الاسلام من بلاد العرب الى اوائل الصين في زمن الحاج معبني آمية . فنقطية سار في المشرق حتى بلغ الصين يفتح وينتشر الاسلام . ومحمد بن القاسم كذلك في بلاد السند والهند . وموسى بن نصیر سار قبل مغرب الشمس لم يدع مدينة الا فتحها ونشر العلم والاسلام فيها ، فكانت اللغة العربية في ذاك العهد الراهن هي لغة العلم والدين والقرآن ، حتى كانت البشرية التي دخلت تحت راية الاسلام تترك لغاتها الاصلية الموروثة للغة الفصحي لغة اعظم كتاب دانت له البشرية « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه تنزيلا من عزيز حميد ». مكنت في ذلك العصر كما اجمع المؤرخون على ذلك لاندخل مسجدا في دنيا الاسلام الا ورأيت عدة حلقات